إبراهيم بن موسى الشاطبي

ارتبط اسم الشاطبي ارتباطاً وثيقاً بنظرية (المقاصد)، وأثنى عليه الحداثيون العرب وعلى كتابه [الموافقات]، مدعين أنه يمثل قطيعة معرفية عن السياق الفقهي/ الأصولي السائد، وأنه حرر العقل العربي من سلطة النص ليطلقه في فضاء المقاصد. ليجتهد العقل في تعاطيه مع النص.

في حين أنهم اتهموا الإمام الشافعي و فكره بالعقم والانغلاق والجمود، وأن كتابه [الرسالة] تأسيس للاعقلانية في الفكر العربي الإسلامي .

لم يقتصر الأمر على مجرد الاحتفاء بأطروحة الشاطبي، بل تم السعي الجاد في توظيفها لهدر أحكام الشريعة التفصيلية، وتوهم الحداثيون أن استجلاب الشاطبي في المجال الفقهي سيحقق جملة من المكاسب التحديثية في هذا المجال بـ:

تكثيف حضور المصالح الدنيوية في الخطاب الشرعي خصوصاً، و الخطاب الثقافي العربي عموماً.

تحرير العقل المسلم من التعقيدات الفقهية، والاستغراق في الجزئيات.

أوهام الخطاب العلماني حول تراث الشاطبي المقاصدي :

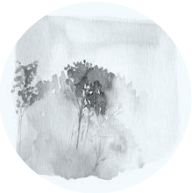

أن فقه الشاطبي فقه مقاصدي متسامح يفسح المجال لقدر عالٍ من الميوعة الفقهية.

فقه مقاصدي يعنى بالكليات دون الإغراق في التفاصيل والجزئيات.

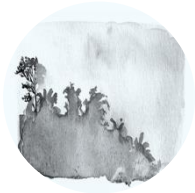

فقه مقاصدي يعنى أصالةً بتحقيق المقاصد الدنيوية.

فقه يمثل قطيعة إبيستمولوجية عن الحالة الفقهية / الأصولية المسبقة.

معالجة إشكالية : الشاطبي والتساهل الفقهي :

الدارس لتراث الشاطبي الأصولي / الفقهي بموضوعية سيجد أنه - رحمه الله- على درجة عالية من الانضباط الفقهي، بعيداً عن مظاهر التساهل والتمييع، ولذا فيمكن معالجة هذه الإشكالية من زاويتين:

الجانب التاريخي لأزمة الشاطبي مع ظاهرتي التساهل الفقهي والبدعي، وسيرته العملية في مقاومة هاتين الظاهرتين.

الجانب التنظيري أصولياً وفقهياً في معالجة مشكلة التساهل الفقهي.

الجانب التاريخي:

كان الشاطبي في بداية طلبه للعلم يدرس عند (أبي سعيد فرح بن قاسم بن لب التغلبي) ، والذي كان معروفاً بالتساهل الفقهي في الفتيا في بعض الأحيان، فيفتي في المسائل الخلافية بأهون القولين على المستفتي، فكان الشاطبي يستشكل هذه الطريقة، واكتشف أنها مناقضة لأصول الشريعة، فصار يقرر وجوب حمل الناس في المسائل الخلافية على الأرجح دليلاً، وصار ينافح عن هذا المنهج عبر التنظير الفقهي والتطبيق الفتوي .

لهذا كتب [الموافقات] وعقد به فصولاً كثيرة ينقد بها طريقة "التيسير على أساس الخلاف"، حتى اتهمه شيخه بالتزمت الفقهي!

وجهت له تهمة التزمت لمحاربته التمييع الفقهي.

اشتهر بمناكفته للبدع والتحذير منها، وناله في سبيل تقرير ما يراه حقاً في شأن البدع أذىً كثيراً، ولم تزده هذه الحالة إلا إيماناً ورسوخاً.

كان مع قلة الناصر وكثرة المنكرين عليه يستشعر عظيم الأمانة الموجبة لتبيان الحق.

كان من بركات هذه الحال أنها استنفرت الشاطبي للتأليف والبيان، فاستخرجت منه كتاب [الاعتصام]، الذي حرر فيه ما يتعلق بمفهوم (السنة) و(البدعة) وحقق مسائلهما.

ما سبق إلماحة يسيرة تبين موقف الشاطبي من ظاهرتي التساهل الفقهي والبدعي، وهذا:

- يدل على شدة اهتمامه بالتأصيل لمبدأ الانضباط الفقهي، وما عاناه في هذا السبيل.
- يؤكد على أن تراثه لا يمكن أن يشكل قاعدةً حقيقيةً لخطابٍ متساهلٍ فقهياً.